

الأنساق الثقافية في شعر المرأة - شعر نازك الملائكة أنموذجاً

هيام نوماس عثمان

المديرية العامة للتربية في محافظة ميسان

Cultural patterns in women's poetry - Nazik Al-Malaika's poetry as an example

Hyam nomas Othman

General Directorate of Education in Maysan Governorate

المستخلص:

تناولت الدراسة شاعرة لطالما كانت متفردة تميزت باختلافها عن أترابها في عمر مبكر، فكان لهذا الاختلاف أن ينعكس في مرآة نتاجها الأدبي لمعرفة صورته، وقد استعانت الدراسة بـ(الانساق الثقافية) وذلك لقدرتها على كشف المحمولات الثقافية للنص وذلك باعتبار ان "الشعر حامل نسق" وانه "علامة ثقافية" ذات بعد نسقي مع ما فيه من جمالية وما فيه من تأثير نفسي وذوقي بليغ، وهذا التأثير هو ما يسوق النموذج ويقوي فعله ويسمح باستنساخه سياسياً واجتماعياً^(١)، مما يمنحها القدرة على كشف منظور الإبداع وفق الخلفيات المعرفية والاجتماعية المتوارية خلف استار النص، وقد تم اختيار نازك الملائكة للدراسة لقدرتها الإبداعية ولتميزها بتنوع المرجعيات الثقافية، فضلاً عن ثقافتها الشرقية الأم، وقد استعانت الدراسة بمنهج (النقد الثقافي) لتتبع أبرز العلامات الثقافية التي تضمنها النص الشعري لنازك الملائكة كامرأة ونحاول ربط تلك العلامات الثقافية بدلالاتها خارج النص.

الكلمات المفتاحية: نسق ثقافي، نازك الملائكة، شعر المرأة

Abstract:

The study dealt with a poet who was always unique and was distinguished by her difference from her peers at an early age. This difference was to be reflected in the mirror of her literary production in order to know its forms. The study made use of (cultural patterns) for its ability to reveal the cultural implications of the text, given that "poetry is a bearer of a pattern" and that it A "cultural sign" with a systematic dimension, with its aesthetics and eloquent psychological and taste influence, and this influence is what drives the model, strengthens its action, and allows it to be reproduced politically and socially (), which gives it the ability to reveal the perspective of creativity according to the cognitive and social backgrounds hidden behind the curtains of the text. Nazik Al-Malaika was chosen for study for her creative ability and for her distinction in the diversity of cultural references, in addition to her native Eastern culture. The study used the (cultural criticism) approach to trace the most prominent cultural signs included in the poetic text of Nazik Al-Malaika as a woman, and we try to link these cultural signs to their significance outside the text.

key words: Cultural system, Nazik al-Malaika, women's poetry

المقدمة

يعد انبثاق (النقد الثقافي) إحدى أهم التطورات الكبرى في الدراسات الأدبية أبان السنوات الأربعين الماضية أو نحو ذلك، وجاءت هذه الدراسة كمحاولة لقراءة النص الأدبي لنازك الملائكة وفقا لأحدى مداخل النقد لفترة ما بعد الحداثة المتمثلة لما يطلق عليه اليوم بـ(النقد الثقافي) الذي أبدى عناية أساسية باكتشاف المحمولات الثقافية للنص، والقاء القبض على مكوناتها سواء كانت واعية أم غير واعية، وهو ما يعرف بـ(الانساق الثقافية) الظاهرة والمضمرة وربط تلك المحاولات بالمرجعيات الثقافية لمبدعها لفتح شفرات دلالات النص واستقراء آفاقه البعيدة معتمدين على طروحات القراءة النقدية الثقافية، والتي تقدم تصورات جديدة ذات بعد معرفي واسع بعيداً عن نمطية القراءة الجمالية ووسائلها البلاغية والاسلوبية المألوفة.

بدأ النقد الثقافي ظهوره في العالم الغربي في ثمانينات القرن الماضي على يد الناقد الأمريكي (فنست ليتش) في كتابه (النقد الأدبي الأمريكي)، ثم انتشر بشكل واسع في الساحة الأدبية الغربية حتى وصل إلى الساحة النقدية العربية فحظي باهتمام النقاد الكبير وعلى رأسهم الناقد السعودي عبد الله الغدامي الذي تبناه وبشكل كبير في كتابه (النقد الثقافي دراسة في الانساق العربية)^(٢)، والذي أصبح من كلاسيكات النقد العربي تجاه دراسة الاعمال الأدبية.

جاءت دراسة (الانساق الثقافية في شعر المرأة، نازك الملائكة نموذجا) لعرض المنظور النظري الثقافي الذي سعت الشاعرة نازك الملائكة إلى بلورته كامرأة، وذلك من أجل تزويد المتلقي برؤية واضحة عن تطوراتها عبر معاينة بعض النصوص الشعرية للشاعرة نازك الملائكة وفقاً للقراءة النقدية الثقافية، ومن معطيات الواقع الاجتماعي التي تعيشها نازك وتمازجه مع المستوى المعرفي والثقافي والشخصي للشاعرة، تتنطق نازك نحو الحراك والانفتاح لتفكيك النظام الاجتماعي المفروض قسراً على الانثى لترفض السلطة الفحولية الصارمة وتحل محلها رؤية بديلة لذلك النظام.

وقد وقع الاختيار على المتفرقة نازك الملائكة دون غيرها لتكون بعض قصائدها عينة للبحث والدراسة لاسباب عدة لعل أهمها كونها شاعرة رائدة غير ميار الحياة الشعرية والنقدية بشكل لم يك مألوفاً من قبل، كما انها مزدوجة الثقافة عاشت في العراق وربوع الوطن العربي وقضت فترة من حياتها في العالم الغربي ودرست بلفته وإطلعت على ثقافته كم انها "جمعت بين كونها ناقدة محللة للشعر والأدب"^(٣)، مما اضفى رقابة داخلية عندها وعلى ما تقدمه من شعر مما جعل نتاجها وجبة غنية للمعاينة والكشف يتهافت عليها الباحث من اجل البحث والتنقيب.

اقتضت الدراسة أن نقسم إلى مدخل ومبحثين وخاتمة بالنتائج التي توصلت إليها الدراسة وقائمة بالمصادر والمراجع، وفي المدخل تم دراسة مصطلح (النقد الثقافي) كإطار نظري بعد ذلك انتقلت إلى ظهور (النقد الثقافي) في الغرب وعند العرب وأهم اعلامهما.

أما المبحث الأول فتناول تحديد مفهوم النسق الثقافي وأنواعه، أما المبحث الثاني: فيمثل الجانب التطبيقي للدراسة ونقف فيه على أهم المحطات التي مثلت الانساق الثقافية في نصوص الملائكة وقد اخترنا نسقين الأول: نسق الفحولة، والثاني نسق الأنا فضلاً عن النتائج التي توصلت إليها الدراسة ثم الخاتمة وفيها عرض لاهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة.

مدخل

مفهوم (النقد الثقافي)

يعرف (النقد الثقافي) بأنه: "نشاط فكري يتخذ من الثقافة لشموليتها موضوعاً لبحثه وتفكيره ويعبر عن موقفه إزاء تطوراتها سماتها، وأول من أطلق مصطلح (النقد الثقافي) على نظريات الأدب لما بعد الحداثة الناقد الأمريكي (فنست ليتش) عبر كتابه (النقد الأدبي الأمريكي) حيث اهتم بدراسة النصوص في ضوء التاريخ والاجتماع والسياسة والمؤسساتية ومناهج النقد الأدبي"^(٤)، وقد جعل فنست ليتش مهمة النقد الثقافي الرئيسية هي الخروج من نفق الشكلائية والذي حصر الممارسات النقدية داخل الإطار الأدبي فقط فظهر النقد الثقافي كبديل للنقد الأدبي، وذلك باتجاهاته المختلفة الماركسية الجديدة والمادية والثقافية والتأريخية الجديدة وما بعده الكولونيالية والنقد النسوي.

"وقد ارتبط النقد الثقافي على مستوى التحليل مجموعة من العلوم الإنسانية كالتأريخ وعلم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة وعلوم الاعلام والحضارة"^(٥).

أما ظهور هذا المصطلح في هذه الساحة النقدية العربية، فيذهب (البازعي) إلى القول: "إن النقد الثقافي نقد عرفته ثقافات كثيرة ومنها الثقافة العربية قديماً وحديثاً"^(٦)، ويعد الناقد السعودي عبد الله الغدامي أشهر من تبناه عبر كتابه (النقد الثقافي، قراءة في الانساق الثقافية العربية)^(٧).

ويرى الغدامي أن: "النقد الثقافي فرع من فروع النقد النصوي العام، ومن ثم فهو احد علوم اللغة وحقول (الاسنية) معني بنقد الانساق المضمره التي تتطوي عليها الثقافي بكل تجلياته وانماطه وصيغه ما هو غير رسمي وغير مؤسساتي وما هو كذلك سواء بسواء من حيث دور كل منها في حساب المستهلك الثقافي الجمعي"^(٨).

ويضيف الغدامي حول مفهومه عن النقد الثقافي بأنه: "نوع من (علم العلل) كما عند اهل مصطلح الحديث، وهو عندهم العلم الذي يبحث في عيوب الخطاب، ويكشف عن سقطاته في المتن او في السند، مما يجعله ممارسة نقدية متطورة ودقيقة وصادمة"^(٩).

يتبين مما تقدم ان النقد الثقافي يولي المرجعيات الثقافية والاجتماعية الرسمية وغير الرسمية أهمية كبيرة في توجيه خطابات القراء نحو انساق وأفكار وتصورات تتناسب مع الذوق العام وتتخلق بها الصياغة الذهنية والفنية وتصبح معياراً يحتذى به او تقاس عليه^(١٠).

المبحث الأول: تحديد مفهوم النسق الثقافي وأنواعه

أولاً: مفهوم النسق:

أ- المفهوم اللغوي للنسق: على الرغم من اختلاف المفاهيم اللغوية للنسق بين معجم وآخر الا انها تدور بنفس المنحنى باعتباره: ما كان على نظام إذ هو انتظام الشيء، إذ صدر في المعجم الصافي، النسق: نسق الشيء ينسقه نسقا، ونسقه نظمه على السواء، ناسق بين الأمرين: تابع بينهما، نسق الاسنان: انتظامها في النبتة وهو تركيبها، انسق الرجل تكلم سجعاً^(١١)، ومما جاء أيضاً في معجم متن اللغة، النسق: نسق الشيء: عطف بصفة على بعض، وينسق الشئئين: ناسق بينهما، والنسق من كل شيء ما كان على طريقة ونظام واحد عام^(١٢).

ب: المفهوم الاصطلاحي للنسق: يعد مصطلح (النسق الثقافي) مصطلحاً رئيسياً وهاماً في منهج النقد الثقافي، وذلك لابد من معرفة الدلالة النسقية التي هي "قيمة نحوية ونصوصية مخبوءة في المضمرة النصية في الخطاب اللغوي بعد ان نسلم بوجود الداليتين الصريحة والضمنية وكونهما ضمن حدود الوعي المباشر، أما الدلالة النسقية فهي في المضمرة وليست في الوعي وتحتاج إلى أدوات نقدية مدققة تأخذ بعيداً (النقد الثقافي) لكي يكشفها ولكي تكتمل منظمة الاجراء"^(١٣).

ويرى الغدامي: "إذا ما كانت الدلالة الصريحة مرتبطة بالشرط النحوي ووظيفتها نفعية تواصلية، وبينما الدلالة الضمنية ترتبط بالوظيفة الجمالية للغة، فإن الدلالة النسقية ترتبط في علاقات متشابكة نشأت مع الزمن لتكون عنصراً ثقافياً أخذ بالتشكيل التدريجي إلى ان أصبح عنصراً فعالاً"^(١٤).

فالنسق الثقافي عنده "هو مصطلح نحوي يجري استخدامه كثيراً في الخطاب العام والخاص، ويشيع في الكتابات إلى درجة قد تشوه دلالتها وتبدأ بسيطة، كأن تعني ما كان على نظام واحد، كما في تعريف المعجم الوسيط، وقد تأتي مرادفة لمعنى (البنية) أو معنى (النظام) حسب مصطلح دي سوسير"^(١٥).

ويرى الشكلايون الروس: "ان النسق الأدبي مقابل النسق التاريخي يتميز باستقلالية معينة، لأنها إرث الاشكال والمعايير الثقافية المتنوعة التي بدأت من البناء السردى إلى مختلف طرق النظر في مسألة العروض، وتسمح هذه الاستقلالية بالتفكير في المسألة الأدبية"^(١٦).

ويضيف عبد الله إبراهيم بقوله: "هذا هو النسق الذي يتجرد النقد الثقافي لمباشرته، اما وظيفة ذلك النقد فهي الانتقال بالممارسة النقدية من نقد النصوص والعناية بجماليتها الاسلوبية والبنائية إلى نقد الانساق المطمورة فيها، أي نقد محمولاتها الثقافية وكشف مصادراتها المختلفة فيها"^(١٧).

ثانياً: أنواع النسق

يشير الغدامي إلى أهمية النسق الثقافي لاطهار النسق المضمرة الذي يتضمنه النص الأدبي ذلك ان "النسق عموماً هو انتظام بنيوي يتناغم وينسجم فيما بينه ليولد نسق اعم واشمل وعلى سبيل المثال

يوصف المجتمع بأنه نسق اجتماعي عام ينتج معه مجموعة انساق فرعية انتظمت معه وتكلمته فتولد عنه نسق سياسي وآخر انتقادي علمي ثقافي تنسج علاقتها فيما بينهما في مسافات متفاعلة ومتداخلة^(١٨). وتتوغل في عالم النقد الانساق وقد تتداخل فيما بينها في جذبات النص الفني فتارة يتجلى ويتعدد وتارة تختفي وتضمحل لتشكل نوعين بارزين من الانساق هما:

أ- **النسق الظاهر**: يرتكز الشعر العربي على منظومة من القيم الثقافية التاريخية، فضلاً عن الممارسات اللغوية والأدبية والرمزية المختلفة في مرجعياتها، لذلك إذا اردنا قراءة نص ما علينا أولاً وأخيراً ان نستعيد القيم الثقافية التي امتصها النص الأدبي وبهذه الطريقة أعلن غردينبلات فاعلية الثقافة حيث تتحول على اثرها الخطابات إلى حوادث حقيقية نسقية^(١٩).

وعليه يتحدد النسق عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المحدد والوظيفة النسقية لا تتحدد الا في وضع محدد ومقيد، وهذا يكون عندما يتعارض نسقان او نظاماً من زمن أنظمة الخطاب احدهما ظاهر والآخر مضمر، ويكون المضمر ناقضاً وناسخاً للظاهرة^(٢٠).

ب- **النسق المضمر**: يعد مفهوم (النسق المضمر) محوراً جوهرياً في نظرية (النقد الثقافي) وترتبط دلالاته اللغوية وفقاً لما ورد في المعاجم بالاضمار والاختفاء، فقد جاء في لسان العرب من (تضمير وجهه: انضمت جلده من الهزل، والتضمير: السر وداخل خاطر والجمع ضمائر - والتضمير الشيء الذي تضميره في قلبك تقول: أضمرت صرف الحرف إذا كان متحركاً فاسكنته، واضمرت في نفسي شيء، إذ اخفيته)^(٢١).

اما المفهوم الاصطلاحي (للنسق المضمر) هو: "كل خطاب يحمل نسقين أحدهما واع والآخر مضمر يتحدد النسق عبر وظيفته وليس عبر وجود المجرد، كما ان الوظيفة النسقية لا تتحدد الا في وضع محدد ومقيد"^(٢٢).

المبحث الثاني

الانساق الثقافية في شعر المرأة - نازك الملائكة نموذجاً

أولاً: نسق الفحولة:

يمكن القول ان الدلالة اللغوية لمصطلح (الفحولة) تدور حول معاني القوة والغلبة والشدة والسخاء، حيث ورد في لسان العرب، الفحل: الذكر من كل حيوان، وجمعه افحل وفحول وفحال، وفحل فحيل، أي كريم، واستفحل الامر قوي واشتد، وامرأة فحيلة، سليطة اللسان والعرب سمت سهيلاً فحلاً لاعتزاله النجوم وعظمته^(٢٣).

أما في الاصطلاح ففي بداية الامر كان مصطلح (الفحولة) مرتبطاً بصناعة الشعر، ويذكر ابن منظور في اللسان، ان فحول الشعراء هم الذين غلبوا بالهجاء من هاجاهم، وكل من عارض شاعراً فغلب عليه^(٢٤).

أما الاصمعي الذي ارتبط مصطلح (الفحولة) به أكثر من غيره يقول الأصمعي (ان الفحل هو من امتلك مزية على غيره تماثل مزية الفحل على الحقاق)^(٢٥)، إلا ان الدلالة اللغوية لكلمة (الفحل) أخذت تتسرب إلى ميدان النقد العام في المقام الأول، ثم شهدت انزياحاً إلى ميادين أوسع واشمل على مستويات النظام الاجتماعي عامة، حيث تتجاوز دلالتها اللفظية والمعجمية إلى ترسيخ قيم فكرية، فغدت الفحولة قوة معنوية، ثم قوى مادية محدداتها أنماط من السمات التي استحالَت خصائص^(٢٦).

والحق ان طبيعة النظام الاجتماعي الذي يقوم على الغلبة والظلم والتعالي والفخر اقتضت تداخل ثقافة القوة مع قوة الخطاب الشعري الجاهلي الذي ابرز مفهوم الفحل^(٢٧). وسنحاول في هذه الصفحات ان نوضح تجليات السلطة الذكورية في الخطاب الشعري لنازك الملائكة ساعين وراء تلك الانساق المضمره بغية القبض عليها وتسليط الضوء على محمولاته التي تكتنرها بعض نصوصها الشعرية ومقاربتها بالنقد الثقافي، من النماذج الشعرية اخترنا قول نازك الملائكة من قصيدة (دعوة إلى الحياة)، والتي تقول فيها^(٢٨):

إغضب، كفاك وداعةً، أنا لا أحب الوادعين
النار شرعي لا الجمود ولا مهادنة السنين
أنا لا أحب الساكنين
أني احبك صرخة الاعصار في الافق المديد
وفما تصباه اللهب فبات يحترق الجليد
أنا لا اطيعُ الراكدين
أني أحبك تعطش البركان فيك إلى انفجار
وتحرق النبع السخي الى معانقة الجرار
أني اريدك نهر نارٍ ما للجتة قرار

تمثلت نازك الملائكة في قصيدتها (دعوة إلى الحياة) نسقاً انثوياً متمرداً كسرت عبره كل الأعراف والقيم الذكورية الصارمة والمتوارثة في الخطاب الاجتماعي والشعري العربي على حدٍ سواء، إذ تحتل التراكيب اللغوية بدأً من عنوان القصيدة (دعوة إلى الحياة) ومفرداتها (اغضب، أحبك، أني اريدك، لا أحب، لا أطيع، نهر نار...) على الفاعلية الانثوية في النص وما تحمله من الصراحة العاطفية ومن جرأة تشكل بؤرة دلالية تشع بالوجود الانثوي والذي كان هامشاً مدة طويلة من الزمن ويتصف به الرجل فقط كالمبادرة، وابداء الرأي، والرغبة فيما تريد. ومما يلفت الانتباه في النص تفرد الصوت الانثوي واستحوذته على المبادرة في القرار، في عملية قلب الأدوار ويمكن القول ان الشاعرة في نصها هذا قد استردت حيوتها بعد ان كان الرجل هو صاحب الوجود الأوحد في غالب الخطاب الشعري العربي، فتقدمها لذاتها كإمرأة منتفضة اختارت

المواجهة هو انزياحاً لغوياً وثقافياً غاية في الأهمية حيث حضرت نازك في نصها بصورة إيجابية كانت هي الناطقة، الراغبة، الصريحة، الممتلئة، إذ كسرت النسق الفحولي المهيمن الذي دائماً ما يلصق المرأة بصفات البلادة والفرغ، والصمت، وبذلك شكلت نازك في نصها حدثاً ثقافياً ثرياً بالدلالة الانثوية، ذلك ان الخطاب الشعري العربي وسَمَ بالتمركز الفحولي، وفيه غلب حضور المرأة بوصفها مادة لغوية وموضوعاً شعرياً لاستعراض البطولات الفحولية للرجل، إذ هي (مادة مصنوعة من أجل الآخر)، فهي ليست ذاتاً قائمة بوجود خاص لها أو عليها، ولها دور محتسب في اعماقها وتصرفاتها، ولكنها مخلوقة من أجل مخلوق آخر^(٢٩).

لذلك انطلقت نازك من نقطة (الثورة) فترفض العودة إلى أحضان النسق الذكوري وثقافته الصارمة "ذلك ان الثقافة العربية كما في اغلب الثقافات البشرية الأخرى ملأت حياة المرأة ثيمات الوأد والاستلاب والتشبؤ" ليعلو صوتها صادحاً جريئاً بعد ان كان صوت المرأة وادعاً مستكيناً متوارياً، إذ أحدثت نازك خللاً في المعادلة الذكورية المألوفة فهي نابضة حاضرة بعد ان كان هذا الحضور حكراً على الرجل "قالشعر العربي ومعه الثقافة العربية، كانا يقومان على النسق الذكوري، وهو نسق طاغٍ ومهيمن، ولكن التأنيث كان له وجود منفرد من نوع مختلف، غير انه وجود هامشي وربما نقول انه وجود سلبي"^(٣٠).

وقد بدا ذلك جلياً عبر التشكلات اللغوية للنص الشعري، من خلال مفرداتها المحملة بالغليان واللهيب (اغضب، النار، صرخة، الاعصار، اللهيب، البركان، انفجار، تحترق، نهر نار) فنازك لم ترضَ ان تمارس دورها كأنثى تقليدية تنطوي تحت جناح أي ذكر، وانما هي امرأة متكاملة ارادت من الرجل المتكاسل ان يخوض معها وبعاطفته العميقة وفكره السامي سلسلة من التفاعلات الإنسانية ليكون مساوٍ لها في العاطفة والفكر والشعور فهي متعطشة ليس لأي ذكر ولا لأي عاطفة فمسألة العدالة في الشراكة الإنسانية بينها وبين الرجل مسألة جوهرية تلامس جوهرها الإنساني كأنثى وانسانة ولعلها بذلك استطاعت ان تعلن عن رغبتها الواضحة في صفات إيجابية تجاه (الرجل) صفات بدلالة إيجابية تضيء إلى رسم صورة واضحة المعالم لذلك الرجل الذي تسعى اليه لتشق طريقها نحو صراحة عاطفية وصدق شعوري متفرد وغير مألوف من جهة الوعي الذكوري المهيمن، ومن جهة وعي المرأة بذاتها.

ومن المواضيع الأخرى التي يظهر فيها إصرار نازك على كسر النسق الفحولي والتفرد عليه بل والسخرية منه قولها في قصيدتها (الراقصة المذبوحة) والتي تقول فيها:

إرقصي مذبوحة القلب وغني
واضحكي فالجرح رقص وابتسام
اسألي الموتى الضحايا أن يناموا
وارقصي أنتِ وغني واطمئني^(٣١)

الصوت في القصيدة هو صوت انثوي يعكس عند نازك إشكالية الصراع المستمر بين المعادلة العربية الذكورية الطابع وبين واقع الانثى في ظل السلطة الذكورية القاهرة فالإزاحة إلى الهامش خلف الاستار والحجب سياسة ذكورية تمارس بحق المؤنث لحجرها في خانة الغياب وهي الخانة المقابلة لخانة القتل (مذبوحة القلب، جرح، أسالي الموت، الضحايا) وتدرك نازك حجم الغياب الذي يسعى العرف الفحولي إلى اغراقها فيه، لذلك جاءت الشاعرة ساخرة منه متعالية عليه ممتعضة منه.

وتقول في موضع آخر من القصيدة:

وجنون يا ضحايا أن تثوري
وجنون غضبة الأسرى العبيد
أرقصي رقصة ممتن سعيد
وابسمي في غبطة العبد الأجير
اسكتي الجرح حرام أن يئنا
وابسمي للمقاتل الجاني امتنانا
امنحيه قلبك الحر المهانا
ودعيه يئنشي جزاً وطعنا^(٣٢)

وتدرك نازك حجم العواقب التي تلاقيها إذا عمدت إلى كسر الصمت واخذت في التعبير عن مكنوناتها والذي يعد خطيئة تستحق القصاص، بل هو جنون وخروج عن الوعي والادراك (وجنون غضبة الأسرى العبيد) إلا ان نازك سرعان ما أخذت تتراجع عن اعتراضها لتحتل موضع الانكسار والهزيمة، وفي هذا تناقض مع ما تدركه نازك من عبودية المجتمع الصارم (أرقصي، ابسمي، اسكتي، امنحيه، دعيه) فغلب نازك التراجع تحت نيران السلطة الفحولية رغم قدرتها على تشخيصها، ولا غرابة على شاعرتنا ان تقع في مثل هذا التراجع الناجم عن الصراع بين ما تفرضه الفطرة الإنسانية السليمة ودواتها من عقل وإرادة حرة وبين معطيات العرف الذكوري السائد وجذوره المتغلغلة في أعماق اللاوعي الجمعي.

ثانياً: نسق الانا

تعد (سايكو الانا) منهج في التحليل النفسي يهتم بالآليات النفسية التي تتوسط العلاقة بين (الأنأ) والهو، وينطلق من فهم (الأنأ) بوصفها نسقاً عقلياً واقعياً لوظائف الشخصية او بوصفها مادة فاعلة تؤلف الفرد وتصوغ تصوره الكلي عن نفسه مما يفضي إلى التركيز على العمليات التي يقوم بها الأنأ^(٣٣).

ويقول إبراهيم نوال مصطفى: "وكل أنا من الناحية المعرفية الخالصة تحمل معها آخرها، ولا يمكن الوصول إلى حدود الذات ما لم نصل معها في الوقت نفسه إلى حدود الآخر، فالعالم والآخر والذات متلازمان"^(٣٤).

ومن المواضيع التي وقفنا عندها قصيدة (أنا) والتي تقول فيها:

للليل يسأل من أنا
أنا سرُّ القلق العميقُ الأسودُ
أنا صمته المتمرّدُ
قتعتُ كنهى بالسكون
ولففتُ قلبي بالظنون
وبقيتُ ساهمةً هنا
أرنو وتسالني القرون
أنا من أكون^(٣٥)

في النص أعلاه يمكننا ملاحظة التساؤلات التي تطرحها نازك الملائكة، والتي تحيل الشاعرة إلى البحث عن الجزء المفقود في صورة المرأة، فالمرأة الشاعرة تسأل (الليل، يسأل من أنا) وفي ذلك التساؤل وتلك الحيرة إحالة إلى الخروج من كنهها المجهول إلى كنهها المعلوم وفيه إحالة إلى مدلول نفسي واجتماعي وثقافي كان يفصلها عن فكرها وهويتها وذاتها ويجعل ذلك من سمات الرجل وفي تساؤلاتها أيضاً وخروج من صورتها النمطية التي تربط المرأة بالعاطفة والجمال فقط، فتمردها الصامت الذي غلف المقطع من القصيدة وسمها بالمهادنة المريرة الناشئة من إحساس الشاعرة بالخوف والقلق، فظلت ذات الانثى عند نازك مكتنزة بالقلق والتوتر وبدت فيها مشاعر وانفعالات قوية بسبب المسافة الممتدة بين ذات الشاعرة وهويتها وبين قساوة الواقع (قتعت كنهى، لفتت قلبي، بقيت ساهمة، ارنو) ولا غرابة في ذلك الجمود والذي يمثل مهادنة للنسق والذي تغلفت به قصيدة نازك، ذلك ان المجتمع العراقي يوم ذلك وكما تصفه القاصة (ديزي الامير) وهي صديقة الشاعرة نازك الملائكة "ظالماً وقاسياً على أمثال نازك"^(٣٦).

وفي موضع آخر من القصيدة تقول نازك:

والدهر يسأل من أنا
أنا مثله جباراً أطوي عُصور
وأعودُ أمنحها النشور
أنا أخلقُ الماضي البعيد
من فتنة الأمل الرغيد
وأعودُ أدفنه أنا
لأصوغ لي أمساً جديداً

غَدُه جليد (٣٧)

وبنوع من استبدال الذات، عند نازك الذي تمتزج فيه ازمة الوجود الخاصة مع ازمة الواقع الاجتماعي الصارم المفروض على الانثى، لتولد عن نازك ذات (متعالية، جبارة) ترفض العبودية والتحجيم لأنها قائمة بحد ذاتها لا تحتاج إلى المجموع وترفض الانصهار فيه، فالذات عند نازك كما تصفها فاطمة العفيف: "ليست مقترنة بالضرورة مع الآخر فهي غالباً ما تصور نفسها وحيدة"^(٣٨).

الا ان وعيها بالهوية الانثوية سرعان ما يبدأ بالتذبذب بين الشجاعة والخوف والقوة والضعف وبين اليقين والشك فوعيها بهويتها الانثوية سرعان ما ينصدم بقضايا الواقع على مختلف الأصعدة الاجتماعية والوجودية والثقافية مما يجعل وعي نازك بهويتها وعياً قلقاً مختزلاً لمحاولاتها في الحرية والانفتاح على ذاتها وكيانها الإنساني وسط محيطها العام الذي تعيش فيه وتتداخل معه. حيث تقول في مقطع آخر من قصيدتها:

والذاتُ تسألُ من أنا

أنا مثلها حيرى أهدق في ظلام

لا شيء يمنحني السلام

أبقى أسائلُ والجواب

سيظل يحجبه سراب

وأظل أحسبه دنا

فإذا وصلتُ إليه ذاب

وخبا وغاب^(٣٩)

ومن النماذج الشعرية الأخرى، اخترنا قول نازك الملائكة في قصيدتها (الوصول) والتي تقول فيها:

سأحب نفسي في ارتعاش ظلالها تحيا عصور

ملأى بألوان الخيال

وهناك في أحنائها ألقى الخيال

وعوالمًا نجمية الاشواق مسكرة العطور^(٤٠)

وتعلن نازك مرة أخرى انها ذات إنسانية متكاملة الابعاد ملتهبة العواطف، افقية الخيال لتظهر حبها لذاتها وهي ذات (ممتلئة، تواقه، ومسكرة) حيث تظهر مشاعر (الحب، والراحة، والأمان) (سأحب، ملأى، الجمال، نجمية الاشواق، مسكرة)، لكن نازك سرعان ما تخبو شيئاً فشيئاً وتأخذ بالتراجع خطوات، إذ تقول في مقطع من قصيدتها:

يا صمت نفسي عدت، عدت اليك بعد سرى سنين

ضافت بتطوافي البحار

وشكا النهار

ما حملته رؤاي من عبء الحنين

لم ألق غيرك لي نصيراً

في ظلمة الليل المضل

فافتح لي الباب الاخيرا

دعني أمر

أنا وظلي^(٤١)

تحشد (الأنا) عند نازك صفات ذات دلالة سلبية تقضي إلى رسم صورة منزوية للمرأة والذي بدا ذلك عبر التشكلات اللغوية في القصيدة المتمثلة بالصمت والضيق والعبء والحيرة والحزن والظلام (ضاقت، شكا، عبء، لم ألق، ظلمة الليل، أنا وظلي) فتكرار قيمة الصمت والشكوى والتيه واحدة من أهم سمات (الأنا) عند نازك، فتزعزعت فاعلية (الأنا) عند نازك وأصبحت تتسم بالجحود الذي يحيل بها من حالة الحضور إلى حالة الغياب.

وتعلل "فاطمة العفيف" ذلك الانسحاب بقولها: "ان الشعر الحديث بعامة لا يخلو من شيوع مثل هذه المعاني فيه وتزداد هذه المعاني كثافة في تجربة المرأة التي تتنازعها مشاعر التمرد والانطلاق فتتصدم بمواقف رفض لا تقبل فيها ذلك، فضلاً عن فيض المشاعر التي تجدها داخل نفسها ولا تجد فسحة كبيرة لتعبر عنه هذا إذا ما وجدت تلك الفسحة الضيقة"^(٤٢).

"وهكذا هي أنا الشاعرة تتراوح بين قلق وتمرد وصمت وحيرة وجبروت وبحث عن السلام في مفارقات تعيشها ذاتها بين القوة والوهم"^(٤٣).

الخاتمة

استطاعت الرائدة نازك الملائكة ان تعيد للوجود الانثوي ابداعه الإنساني، وان يكون لها قولها المختلف اتجاه قضاياها وهمومها وتطلعاتها عبر رؤيتها الانثوية المتكاملة الابعاد بعيداً عن التسليع الاستهلاكي الذي تفرضه منظومة القيم الذكورية الصارمة، وهي رؤية سابقة لأوانها في وقتها، إذ تمكنت من ان تسرد ذاتها وتعبّر عن شخصيتها وسط الضياع الذي تعيشه المرأة كاشفة عن التدليس والخداع الذي أريد للمرأة ان تتوهم فيه، ورغم تذبذب نازك في مساراتها بين كسر النسق الذكوري والتمرد عليه تارة، وبين الخضوع والاستكانة له تارة أخرى، الا ان نازك نجحت في مواضع كثيرة في خطابها الشعري في رفع صوت الانثى المقموع صادقاً عبر الكلمة التي كانت سلاحها ضد الوأد المعنوي الاستلاب الذي احاطه العرف الفحولي بالمرأة.

الهوامش

- (١) عبد الله الغدامي، عبد النبي اصطيف، نقد ثقافي ام نقد أدبي، دار الفكر، ط١، دمشق، ٢٠٠٤، ص٥٥.
- (٢) ينظر: د. ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٣، ٢٠٠٢، ص٣٠٥-٣٠٦.
- (٣) عبد الرضا علي: نازك الملائكة الناقدة، المركز الثقافي العراقي، دار الحكمة، لندن، ٢٠١٣، ط٢، ص٣٤.
- (٤) د. ميجان الرويلي، سعد البازعي، مرجع سابق، ص٣٠٥.
- (٥) سمير خليل: النقد الثقافي في الدراسات النقدية العربية، مجلة الآفاق العربية، ٢٠١١، ص١٣-١٤.
- (٦) د. ميجان الرويلي، سعد البازعي، مرجع سابق، ص٣٠٦.
- (٧) المرجع السابق، ص٣٠٩.
- (٨) عبد الله الغدامي (قراءة في الانساق الثقافية العربية)، ط٣، المركز العربي الثقافي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥، ص٨٣.
- (٩) ينظر: عبد الله الغدامي، المرجع السابق، ص٨٤.
- (١٠) ينظر: عليه النجار، الانساق المضمورة بين النقد الأدبي والنقد الثقافي، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد ٦٨، جامعة بغداد، سنة ٢٠١١، ص١.
- (١١) صالح الصالح امينة: المعجم الصافي في اللغة العربية، الرياض، ١٤٠١هـ، ص٩٦٣.
- (١٢) ينظر: احمد رضا - معجم متن اللغة، مج ٥، دار مكتبة بيروت، ١٣٦٠هـ - ١٩٦٠م، ص٤٥١.
- (١٣) سمير الخليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية مراجعة وتعليق، سمير الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٧١، ص١٧٤.
- (١٤) عبد الله الغدامي (قراءة في الانساق الثقافية العربية)، مرجع سابق، ص٧٢.
- (١٥) المرجع السابق، ص٧٦.
- (١٦) يوسف علميات، جماليات التحليل الثقافي (الشعر الجاهلي نموذجاً)، دار فارس للنشر والتوزيع، ص٤٠-٤١.
- (١٧) ينظر: عبد الله إبراهيم، النقد الثقافي، مطارحات في النظرية والمنهج والتطبيق، ص١٩٥.
- (١٨) محمد فتاح: التشابه والاختلاف، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٦، ص١٥٦-١٥٧.
- (١٩) يوسف علميات، النقد الثقافي (قراءة في انساق الشعر العربي القديم)، عالم الكتب الحديث، عمان، ط١، ٢٠٠٩م، ص٨.
- (٢٠) عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، مرجع سابق، ص٧٦.
- (٢١) ابن منظور، لسان العرب، ط٣، دار المعارف، فصل العناد، ص٤٩٢.
- (٢٢) ينظر: عبد الله الغدامي، وعبد النبي صطيف، نقد ثقافي ام نقد أدبي، مرجع سابق، ص٣١-٣٢.
- (٢٣) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة فحل.
- (٢٤) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة فحل.
- (٢٥) ينظر: عبد الملك بن قريب الاصمعي، فحولة الشعراء، تحقيق: محمد عودة سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ١٩٩٤م، ص٣٢.
- (٢٦) ينظر: عبد الغدامي، النقد الثقافي (قراءة في الانساق)، مرجع سابق، ص٢١٢.

- (٢٧) ينظر: عبد الفتاح احمد يوسف، قراءة النص وسؤال الثقافة، استبداد الثقافة ووعي القارئ، تحولات المعنى، عالم الكتاب الحديث، ط١، الأردن، ٢٠٠٩، ص٣٨.
- (٢٨) نازك الملائكة، الديوان، مج٢، دار العودة، بيروت، ١٩٩٧، ص٤٠٢.
- (٢٩) عبد الله الغدامي، المرأة واللغة وثقافة الوهم مقاربات حول المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ٢٠٠٦، (د.ط.)، ص٧٤.
- (٣٠) عبد الله الغدامي، تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، المركز الثقافي العربي، ط٢، الدار البيضاء، ٢٠٠٥، ص٣٨.
- (٣١) نازك الملائكة، الديوان، مج٢، ص٣٣٠.
- (٣٢) نازك الملائكة، الديوان، مج٢، ص٣٣٢.
- (٣٣) اديث كريس ويل، عصر البنيوية، ت: جابر عصفور، ط١، دار سعاد الصباح، الكويت، ص٨٨٢.
- (٣٤) إبراهيم نوال مصطفى، المتوقع واللامتوقع في شعر المتنبي، ط١، عمان، دار جرير للنشر، ٢٠٠٨، ص٤٧.
- (٣٥) نازك الملائكة، الديوان، مج٢، ص١١٤.
- (٣٦) ديزي الأمير: لا تظلموا نازك الملائكة، مجلة الناقد، لندن، ٤: ٨٤، حزيران، ١٩٩٥، ص١٥٨.
- (٣٧) نازك الملائكة، الديوان، مج٢، ص١١٥.
- (٣٨) فاطمة حسين العفيف: لغة الشعر النسوي العربي المعاصر، (نازك الملائكة، سعاد الصباح، نبيلة الخطيب) نماذج عالم الكتابة الحديث، اريد، الأردن، ط١، ٢٠١١، ص١٠٥.
- (٣٩) نازك الملائكة، الديوان، مج٢، ص١١٧.
- (٤٠) المصدر السابق، ص٣٦٧.
- (٤١) نازك الملائكة، الديوان، مج٢، ص٣٦٩.
- (٤٢) فاطمة العفيف، مرجع سابق، ص١٠٦.
- (٤٣) المرجع نفسه.

قائمة المصادر والمراجع

- ١- إبراهيم نوال مصطفى: المتوقع واللامتوقع في شعر المتنبي، ط١، عمان، دار جرير للنشر، ٢٠٠٨.
- ٢- ادبث كرزويل: عصر البنيوية، ت: جابر عصفور، ط١، دار سعاد الصباح، الكويت.
- ٣- احمد رضا: معجم متن اللغة، دار مكتبة بيروت، ١٣٦٠ هـ - ١٩٦٠ م.
- ٤- حسين المناصرة: النسوية في الثقافة والأبداع، عالم الكتب الحديثة، اربد، الأردن، ٢٠٠٨.
- ٥- سمير خليل: النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب، دار الجواهري، بغداد، ط١ - بيروت لبنان، ٢٠١٢.
- ٦- صالح الصالح امينة الأحمد: المعجم الصافي في اللغة العربية، الرياض، ١٤١٠ هـ.
- ٧- عبد الله إبراهيم، النقد الثقافي، مطارحات في النظرية والمنهج والتطبيق.
- ٨- عبد الفتاح احمد يوسف: قراءة النص وسؤال الثقافة، استبداد الثقافة ووعي القارئ، تحولات المعنى، عالم الكتاب الحديث، ط١، الأردن، ٢٠٠٥.
- ٩- عبد الرضا علي: نازك الملائكة الناقدة، المركز الثقافي العراقي، دار الحكمة، لندن، ٢٠١٣.
- ١٠- عبد الله الغدامي، تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، المركز الثقافي العربي، ط٢، بيروت، ٢٠٠٥.
- ١١- عبد الله الغدامي: النقد الثقافي (قراءة في الانساق الثقافية العربية)، الهيئة العامة*** والثقافة، القاهرة، ٢٠١٠.
- ١٢- عبد الله الغدامي، المرأة واللغة وثقافة الوهم مقاربات حول المرأة والجسد واللغة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦، (د.ط.).
- ١٣- عبد الملك بن قريب الاصمعي: فحولة الشعراء، تحقيق: محمد عودة سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ١٩٩٤ م.
- ١٤- عبد الله الغدامي، عبد النبي اصطيف، نقد ثقافي ام نقد أدبي، دار الفكر، ط١، دمشق، ٢٠٠٤.
- ١٥- فاطمة حسين العفيف: لغة الشعر النسوي العربي المعاصر، (نازك الملائكة، سعاد الصباح، نبيلة الخطيب) نماذج، عالم الكتابة الحديث، اربد، الأردن، ط١، ٢٠١١.
- ١٦- محمد فتاح: التشابه والاختلاف، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٦.
- ١٧- ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٢.
- ١٨- نازك الملائكة، الديوان، مج٢، دار العودة، بيروت، ١٩٩٧.

١٩- يوسف علميات، النقد الثقافي (قراءة في انساق الشعر العربي القديم)، عالم الكتب الحديث، عمان، ط١، ٢٠٠٩م.

الرسائل والمجلات

١- فاطمة الزهراء بايزيد، الكتابة الروائية النسوية العربية بين سلطة المرجع المتخيل، رسالة دكتوراه، جامعة الحاج حضر باتنة، ٢٠١١ - ٢٠١٢.

٢- سمير خليل: النقد الثقافي، الدراسات النظرية العربية، مجلة الآفاق العربية، ٢٠١١.

٣- محمد حسين طربية، نازك الملائكة والشعر العربي الحديث، بحث منشور، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب.